

## عن التطرف وعن الإرهاب

"إن الأهم ليس فقط محاربة الإرهاب، بل العمل كذلك، وفي الوقت نفسه على عدم صنع الإرهابيين"  
أ.د البخاري حماته\*

\*\*\*\*\*

### 1. مدخل:

كثيرة هي الندوات والملتقيات والمؤتمرات الوطنية والجهوية والدولية التي عقدت، خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، التي هزت الولايات المتحدة هزاً، حول التطرف وحول إفرازه الأول المتمثل في الإرهاب الهيجي والدموي.

وكثيرة هي القرارات والتوصيات والتعهدات بمكافحة الإرهاب والتعصب، والتصدي لهما، واجتثاثهما. غير أن التطرف، (الذي نلاحظ أنه يستهدف، أساساً، العرب والمسلمين، قبل الغرب أو إسرائيل)، لم ينحسر، والإرهاب لم يحاصر، بالرغم من كل تلك اللقاءات، والتوصيات ولم يتوقف، بل ازداد همجية وشمولية وانتشاراً ودموية.

ذلك ما يؤكده واقع العديد من الدول والأمم التي تجد نفسها اليوم ولأول مرة، عرضة للإرهاب، (le terrorisme)، ومن ضمنها البعض من الدول الغربية التي ظلت تتشدد"، في إشارة غير مباشرة للعرب والمسلمين، إلى أن "حضارتها وثقافتها، المتسامحة والبعيدة عن التعصب (le fanatisme) والتطرف (l'extrémisme) والإرهاب، والمناوئة للظلم، (وهي التي وصفت بالأمس، ومن خلال البعض من ساستها ومثقفها، اليمينيين خاصة، أبطال ثورات العالم الثالث التحريرية، من هيمنها ومن استعمارها الظالم لها، بـ "القتلة وبالخارجين عن القانون"، مثل ما تصف اليوم تصدي الشعب الفلسطيني الأعزل للجرائم اليومية الإسرائيلية، المتكررة ضد نسائه وأطفاله وشيوخه، واغتصابها العلني والمستمر لما تبقى من أراضيه بالإرهاب)، تجعلها في منأى عنه"...

إن الأسئلة، أو التساؤلات، التي تطرح نفسها على كل من يحاول فهم ظاهرة التطرف وإفرازه الأول الإرهاب تظل تلك التي تقول:

1. ما المقصود بالتطرف؟ وما علاقته بكل من التعصب ومن الإرهاب؟
2. وما السبب، أو الأسباب الموضوعية لكل من التطرف ومن الإرهاب؟
3. وما جذورهما الحقيقية؟
4. وهل التطرف فعلاً سمة من سمات العرب والمسلمين ودينهم وتراثهم، مثلما يدعي البعض من مثقفي الغرب، بمعناه المذهبي والإيديولوجي والثقافي والسياسي والاقتصادي، وليس الجغرافي، أم انه ظاهر انسانية وكونية؟

\* أستاذ التعليم العالي، قسم الفلسفة، جامعة وهران 2، عضو في مختبر الأبعاد القيمة للتحويلات بالجزائر.

5. وهل يمكن للإنسانية ان تنجح في النهاية، في اجتثاث عوامله وجذوره؟  
للإجابة عن مثل هذه الأسئلة، وغيرها، فإننا نعتقد انه يجب علينا، أولاً، تعريف التطرف، لغة واصطلاحاً، وتحديد علاقته، أو علاقاته، بكل من التعصب ومن الإرهاب، وصولاً إلى محاولة الوقوف على عوامله وأسبابه الحقيقية وجذوره، التاريخية، وذلك كشرط لمواجهته ولاجتنائه.  
2. المصطلح والمعنى:

#### أ- المصطلح:

كلمة التطرف المشتقة من الطرف، أو الجهة.. القصوى من كل شيء، أو منتهاه، تعني، اصطلاحاً، في اللغة العربية، تجاوز حد الوسط والتوسط، نحو الغلو<sup>1</sup> والتشدد والخروج عن المألوف، سواء أكان مثل ذلك الخروج إيجابياً، (حماية الأصول، تحريك الثورات والانتفاضات الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعلمية، المطالبة بالإصلاح والتغيير، نحو ما تؤكد الأغلبية أنه الأفضل، أو كان في شكل تطورات، دينية، أو علمية أو سياسية أو اجتماعية أو تقنية أو ثقافية إيجابية بالنسبة للإنسانية.

كما أن التطرف قد يكون سلبياً، خاصة حينما يتوشح بالدين ويتحوّل إلى مصدر للإرهاب وللغنف الدموي والهمجي الموجه أساساً ضد المدنيين الأبرياء، كما هو الحال بالأمس واليوم.  
ب- المعنى: يعني التطرف، وفي واحد من تعاريفه، العديدة، الفلسفية منها، خاصة، والسياسية، عامة، "نزعة، أو اتجاه، نحو اختيار الآراء، الدينية، أو السياسية، أو الاقتصادية، أو الأفكار الأكثر تشدداً"<sup>2</sup>.

لذلك فإن التطرف يمثل أسلوباً مغلقاً في التفكير، وعجزاً عن الحوار مع أي رأي، أو معتقد، ديني، أو سياسي أو مذهبي مخالف، وذلك لاعتقاد المتطرف أن رأيه هو الرأي الصحيح، ومعتقده هو المعتقد الصحيح، الذي لا يقبل أي مناقشة أو نقد أو رفض.<sup>3</sup>  
على أن التطرف يظل، غالباً، ومهما اختلفت معانيه "يمثل، تباعداً بين تعقد الواقع وبين بساطة تصورات".

من هنا نفهم تميز سلوك المتطرف بالاندفاع وبالغنف، (أي بعدم الشفقة أو الرحمة بالأبرياء)، وبرفض الحوار، وبالنظرة الشهبونية للمرأة، التي تجعله لا يرى فيها، بالرغم من كل كلامه، المكرر، لكلام غيره، عن ودورها الحيوي في المجتمع، لا يرى فيها سوى مجالا للجنس.

<sup>1</sup> النساء: آية، 171 المائدة: آية، 77. وانظر أيضا ابن منظور: لسان العرب. ومحمد عبد الرزاق المناوي، التوقيف على محمات التعريف: القاهرة، 1410هـ. وانظر أيضا ابن منظور: لسان العرب التطرف. وأحمد صديقي الدجاني: التسامح، الدورة الثلثية عشر لمؤتمر مؤسسة آل البيت، عمان، الأردن، 2002. وسهير أحمد: محددات التطرف الديني في مصر، المستقبل العربي، لبنان، بيروت، 1990 العدد، I.

<sup>2</sup> Dictionnaire de philosophie ، Paris ، Fayard ، 2004.p ، 481.

<sup>3</sup> سهير نغم أحمد: محددات التطرف الديني في مصر، المستقبل العربي، بيروت، لبنان، العدد، 1-1990

لذلك كان التطرف في اللغة العربية وفي القرآن الكريم مرادفاً للغلو والشطط، ومضاداً بالتالي للوسطية التي جاء الإسلام متميزاً بها. ولذلك أيضاً فإننا نلاحظ على هذا المفهوم للتطرف، خاصة لأسبابه، تنقصه بعض الدقة، حيث ان مثل ذلك التجاوز لحد التوسط، لا يمثل دوماً اختياراً سلبياً للتشدد، كما أنه لا يتم اعتباطاً، وكما سنرى لاحقاً، عند حديثنا عن جذور واسباب التطرف وإفرازه الأول والأخطر: الإرهاب، -أي ترويع الناس الأبرياء، ومن لا يستحق الترويع، بل انه وليد تجاوزات، مختلفة، أخرى، أكبر وأشد منه، خاصة العقائدية منها والسياسية والاقتصادية.

على أن مثل ذلك التجاوز، الذي يمثله التطرف ليس هو المولد، الوحيد، أو المباشر، للتعصب الأعمى (le fanatisme)، أي التعلق المفرط بفكرة، أو موضوع، أو عقيدة) وللجمود الفكري، أو للدوغمائية، بل واحداً من أهم أسبابه.

### 3. جذور وأسباب التطرف والإرهاب:

ولأن التعصب ليس هو المصدر الأول للتطرف وللإرهاب، كما يعتقد البعض من الباحثين، بل الاهتزازات السياسية، والاقتصادية العالمية، أساساً، وما تولده من اهتزازات سياسية واقتصادية واجتماعية وخلقية وثقافية محلية، ممثلة أساساً في تزايد الفقر والبطالة وأزمات السكن والبطالة، خاصة في أوساط الشباب، وفي تفكك الأسرة، إضافة إلى سوء التسيير والفساد الإداري والتكويري والعنف الهامشي وغير المسبوق- إختطاف الأطفال وقتلهم، بعد الاعتداء عليهم جنسياً، سب الوالدين وقتلهم- وتواري قيم الشبهة والإنسانية، إضافة إلى تزايد استبداد وفساد وجهل وظلم وطغيان وقمع معظم الحكام العرب والمسلمين، وهم الذين يعنوننا هنا أكثر من غيرهم، لشعوبهم، وإلى تبعيتهم، الكلية، للخارج<sup>1</sup>.

وإذا كان التطرف والإرهاب ليسا وليدي التعصب، كما يعتقد البعض من الباحثين الآخرين، بل إنهما نتائج من نتائجهما، حيث أن الإنسان يتعصب أولاً، لفكرة أو لشيء ما، قبل أن يدفعه تعصبه ذلك، إلى دهاليز التطرف ثم إلى محاولة فرضه على غيره بالقوة، ليجد نفسه، في النهاية، تائهاً في مهاوي الإرهاب الدموي والهمجي، ضد كل مخالف له أولاً، وضد الأبرياء بعد ذلك.

كما أن الإنسان لا يتعصب، من جهة أخرى، إلا ردّاً على تعصب آخر، ديني كان، أو مذهبي، أو سياسي، سابق، أو مواكب لتعصبه، وأشد منه.

### 4. ظاهرة التطرف:

إن ذلك يؤكد أن التطرف، في مختلف أشكاله، السالفة الذكر، وغيرها، قديم، بالتالي، قدم الإنسان وقدم نزعاته ومواقف على غيره من بني البشر، حيث عرفت، أو مارسته، ولا تزال، مختلف الأمم والشعوب في كل الأمكنة والأزمنة، والمجالات، الدينية منها والعرقية، والسياسية منها والاقتصادية، الاجتماعية منها والثقافية.

<sup>1</sup> سمير نعيم أحمد: محددات التطرف الديني في مصر، مرجع سبق ذكره.

غير أن التطرف، الديني، والسياسي خاصة، والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، عامة، لم يأخذ، منذ قرون، لا في الغرب، ولا في الشرق، مثل افرازه الأول، الإرهاب، مثل هذا الطابع، الشمولي، أو العالمي، الذي أخذه منذ سبعينيات القرن الماضي، عامة، وبدايات القرن الواحد والعشرين خاصة.

فعلى المستوى الغربي، خاصة، والعالمي، عامة، تميزت فترة الثمانينات من القرن الماضي، العشرين، بتوقف الحرب الباردة، خاصة بعد سقوط حائط برلين 1989، وتفكك المعسكر الاشتراكي ومحاولات عدوه، الأول: الولايات المتحدة الأمريكية. إقامة عالم احادي القطب، يقوم على القوة والهيمنة والعولمة (la mondialisation) الاقتصادية والسياسية والمالية والثقافية، والرفض لكل ما هو غير غربي، ولكل حوار مع الآخر (l'Autre) ومع قيمه.

وعلى مستوى العالم العربي والإسلامي، وهو الذي يعنينا أكثر هنا، فقد تميز بظهور العديد الحركات الإسلامية<sup>1</sup> وبتصدر العديد من رموزها، "للدعوة" للدين الإسلامي ولحمايته من هجمات الحداثة والعصرنة الغربية، " الصليبية الحاقدة"، وهم الذين تجهل غالبيتهم تماما، كلا من روح الإسلام وتعاليمه ومقاصده.. وحقيقة الحداثة الغربية، التي يرفضونها لفظا، ويتهافتون على كل انجازاتها المادية، عمليا، والذين ركبوا ما سمي، وقتها، ب"الصحة الإسلامية" 1970، -يشجعهم في ذلك توارى إيديولوجيا القومية العربية، بعد الهزيمة العسكرية العربية الجديدة أمام إسرائيل، 5 جوان-يونية، 1967 وتصدر الحكم والسلطة، بالقوة العسكرية، غالبا، بعد وفاة أكثر من قائد ثوري عربي، حكام متسلطين وفاسدين، إضافة إلى إفرازات انتصار الثورة الإيرانية على الشاه 1979 في مختلف انحاء العالم الإسلامي<sup>2</sup>.

في مثل هذا الجو، العربي - الإسلامي الغارق في التسلط السياسي والفساد والقبلية والمحسوبية والظلم وإرهاب الدولة والذي ضاعت فيه، خاصة، لدى الشباب كل حرية وغاب فيه كل معلم، (repère)، أو مرجعية، وكل أمل، وطغت فيه المحسوبية والظلم والفساد، وإرهاب الدولة والإفرازات المدمرة للعولمة فانه من الطبيعي أن يسود فيه، لدى المواطنين، عامة، الشعور بالحرمان وبالاضطهاد وبالفراغ والضيق، والفقر، وانسداد كل الأفق، إلى درجة يكفي فيها لأي مغامر، وما أكثر من فعل ذلك منهم، أن يعدهم، باسم الدين، بالإنقاذ لتلتف حوله الجماهير، في هذا الجو، رفع أولئك الدعاة، الضالين، أو المضللين، مثل ما فعل كل الدعاة الضالين الذين عرفهم التاريخ الإسلامي، منذ معركة صفين (سنة 40 للهجرة)، وإلى اليوم، كشعار لدعوتهم هذه، العودة بالأمة الإسلامية إلى إسلامها الأول، وإلى سالف مجدها

<sup>1</sup> قصد بهذه الكلمة الحركات المعاصرة والحديثة التي اتخذت من الإسلام أداة للوصول إلى أهدافها السياسية، وذلك مثل حركة الإخوان المسلمين، 1948، والتكفير والهجرة، 1965، والتبليغ والدعوة، 1965، والجهة الإسلامية للإنقاذ، والناجون من النار 1988، والقاعدة، ويوكو حرام، وداعش الخ.  
<sup>2</sup> راجع المعارض الإيراني المعروف: نوري زاد، في تصريح له من طهران يوم 6 ماي 2017 تأسيس "داعش"، "ويوكو حرام"، إلى إيران، وثورتها، كما أدان مد الجمهورية الإسلامية المنظمات الشيعية خارج إيران، بالمال والسلاح لقتل المسلمين في سوريا والعراق واليمن، ونيجيريا الخ، وفي غيرها من البلدان العربية والإسلامية. انظر وكالات الأنباء، وجريدة الخبر، الجزائر، ماي 2017.

ودعوتها، وهو العهد الممثل في عهد النبي، صلى الله عليه وسلم وفي عهد صحابته رضوان الله عليهم جميعا.

وإذا كان الكثير من الشباب العربي، والإسلامي، المحروم والمهشم، قد انجذب، في البداية، لهؤلاء الدعاة، وهذا إلى جانب قلاه الوهابية<sup>1</sup>، ودعاة الشيعة، والأحمدية، وعبدية الشيطان، وغيرهم فضلا عن دعاة استبدال الإسلام بالمسيحية وباليهودية، الخ، فإن جزاً كبيراً منه سرعان ما لبث أن انفصل، عنهم، بعد اكتشافه لجهلهم المطبق بكل من الإسلام ومن الواقع العربي الإسلامي المزري.. ومن الواقع العالمي كذلك.

وهذا في الوقت الذي وقع فيه آخرين منه في أخطبوط أولئك الدعاة وتعصبهم وتطرفهم وإرهابهم وتدميرهم لكل ما استطاعوا من مظاهر حياة الأمة العربية والإسلامية، الماضي منها والحاضر.

وأمام هذا الواقع المزري، لم يجد أولئك الحكام من وسيلة لمواجهة دعواتهم وحملاتهم تلك ضدهم، سوى اللجوء إلى قمعهم، باسم حماية أمن الوطن وأهله، وهذا بدلا من اغتصاب الحكم بقوة الحراب، أو محاولة الخلود فيه، عن طريق "الانتخابات" الديمقراطية المزيفة، أو توريثه بعد ذلك، وهذا إلى جانب محاولة الحوار النقدي الجدي مع كل المعارضين، وصولاً إلى تحقيق تنمية وطنية يشارك في إنجازها، وفي مراقبتها، كل الشعب، وتكريس قيم الحرية والعدل والعلم والعمل، وترسيخ ثقافة التسامح ومحاربة الفساد والقبلية والرشوة والاختلاسات العامة، والمهولة، للمال العام، ومواجهة البطالة، خاصة لدى الشباب، وإشراكهم في كل القرارات والمشاريع التي تخص الأمة، وتشجيع الإبداع لديهم، وحرية الصحافة والعدالة، والرأي<sup>2</sup>. وهذا إلى جانب توطيد التعاون الأمني الجهوي، خاصة مع النظم المضادة قولا، وعملا للإرهاب وللعوامل المسببة ولاستمراره.

وفي خضم تلك المواجهة المأساوية معهم رفع أولئك الساسة المستبدون، شعار "الكل الأمني، (le tout sécuritaire)، كوسيلة وحيدة للتعامل معهم، وهو الموقف الذي لم يفعل، في النهاية، سوى دفعهم إلى المزيد من التطرف، وإلى الدخول في دهاليز السرية، الحاضنة الأولى للإرهاب وللتطرف وللعنف.

بذلك تحول أولئك الطغاة، عن وعي، أو عن غير وعي، إلى صانعين للإرهاب وإلى ممهدين للاستعمار المباشر لبلدانهم، بالأمس، وللاجتياح العسكري المباشر والجديد، اليوم، لأكثر من بلد عربي.. وإسلامي..

<sup>1</sup> تأمل أن تكون استقالة حكام السعودية، ممثلين، اليوم، في ولي عهدها، محمد بن سلمان وفي لفظه، العلني والرسمي، للوهابية، أكتوبر 2017، جادة في مشروع تصديها للوهابية، ولآثارها الجامدة والمجعدة، البائسة والمدمرة.

<sup>2</sup> البخاري حانه: تأملات في الدنيا والدين، عن السلطة والتسلط.

##### 5. التراث العربي الإسلامي وجذور التطرف والإرهاب:

ولأن مثل هذا الحكم التسلطي هو الذي ساد طيلة معظم فترات التاريخ الإسلامي، بالرغم من أن الإسلام هو أول دين دعا إلى الحرية، حتى في الاعتقاد، وإلى الكرامة والعدل، فإننا نفهم بالتالي لماذا انتهى البعض من المفكرين العرب والمسلمين، وليس الأوروبيين فقط، إلى أن التطرف وإفرازه الأول، الإرهاب، جذورا سبابا، تواجدا، واستمرارية، يشكل السمة الأساسية لذلك التاريخ ولذلك التراث المتضمن له.

##### أ. محمد أركون: لا وجود للتسامح في التراث العربي الإسلامي

فمحمد أركون، (ت2010)، مثلاً، يذهب، من خلال ربطه للتطرف بالتسامح (la Tolérance) إلى أن هذا الأخير، باعتباره واحدا من المواضيع "اللامفكر فيها" (l'impensé) في الفكر، وفي التراث العربي والإسلامي، لم يتواجد في هذين الأخيرين<sup>1</sup>، وهو يرجع السبب في ذلك، إلى ما أسماه "بالعائق الإبستمولوجي" (l'obstacle épistémologique)، والذي يعني به السياج الدوغمائي ومصادراته للعقل الأرتودوكسي، كما يرجعه كذلك إلى انعدام وجود مجتمع مدني في العالم العربي والإسلامي، ودولة قانون (Etat légal) تضمن عدم تعرض المعبر عن موقف فكري، مخالف لما هو سائد، للعقاب.

ويضيف أركون إلى أنه إن كان قد وجد، في بعض الأحيان في التراث العربي الإسلامي تسامح فإنه سلبي، أقرب إلى الحلم (la magnanimité)، (الذي يمثل، دون شك، قيمة من قيم الحداثة)، منه إلى التسامح.

##### ب. علي أومليل: التطرف ليس له نفس المعنى بالنسبة لكل المجتمعات

إن الموقف نفسه، تقريبا وقفه علي أومليل من التطرف ومن الإرهاب<sup>2</sup>، حيث أنه لم ير، مثل أركون، التطرف إلا من خلال نقيضة التسامح، إلا ليؤكد، إنطلاقا من قرأته للظروف التاريخية للأمة العربية والإسلامية، "أنه من غير المتوقع أن تولي هذه الأخيرة، وهي التي تعرضت أكثر من مرة، ولا تزال تتعرض إلى اليوم، للاعتداءات الخارجية العسكرية والسياسية والثقافية، للتطرف نفس المعنى الذي يوليه إياه الغرب (مصدر تلك الاعتداءات)، بالأمس واليوم"<sup>3</sup>.

إن مثل تلك الظروف التاريخية، والاعتداءات المختلفة، إلى ميزتها، هي التي جعلت الأمة العربية والإسلامية ترى، كما يضيف، في التطرف ظاهرة إيجابية لأنه وحده القادر على توحيد الأمة وعلى جمع شتاتها وتجنيد لها لصد مثل تلك الاعتداءات<sup>4</sup>.

"كما أن تلك الظروف هي التي جعلت الأمة العربية الإسلامية تعود عند كل أزمة خارجية، خاصة، إلى التمسك أثر بأصول دينها واستلهاها من جديد، لدفع مثل تلك الاعتداءات.

<sup>1</sup> محمد أركون: ندوة قرطاج حول التسامح، بيت الحكمة، تونس، 1995.

<sup>2</sup> أنظر، على أومليل: الإصلاحية العربية والدولة الوطنية، المركز الثقافي العربي، المغرب-لبنان، 2005.

<sup>3</sup> المرجع السابق.

<sup>4</sup> المرجع السابق.

غير أن كل ذلك لا يجب أن يعنى، وكما يضيف أو مليل، الغياب الكلي للتسامح لدى الأمة العربية والإسلامية أو خلو تراثها كلياً منه<sup>1</sup>، وهي التي مارسته، داخلها، مثلما مارست التسامح، منذ القدم وقبل أن تتعرض لأي غزو أو اعتداء خارجي. لذلك ظل التسامح، وكما يؤكد، أو مليل، متواجداً، مثل التطرف، لديها، وفي تراثها، كما سبق أن أشرنا بالرغم من كل تلك الظروف ومن تلك الاعتداءات الخارجية التي استهدفتها، ولا تزال.

ج. محمد عابد الجابري، (ت2010): التطرف كان، مثل التسامح، واحداً من معطيات التراث العربي الإسلامي:

وعلى العكس من ذلك، فإن محمد عابد الجابري يؤكد "أن التطرف لم يكن، عكس ما ذهب إليه أركون، وغيره، السمة الوحيدة للتراث العربي الإسلامي أو للدين الذي تغذى منه وهو الإسلام". فالإسلام، وكما يضيف الجابري، "جاء مطالباً بالتسامح في كل شيء حتى في العقيدة"<sup>2</sup>. كما أن تراثه، يؤكد، من خلال العديد من فرقهِ وشخصياته المختلفة، أنه تراث يولي التسامح مكانة كبرى، يكفي أن نشير هنا إلى المرجئة والمعتزلة، وإلى أبي حنيفة، والكندي والبيروني والجاحظ وابن رشد وابن عربي (والأمير عبد القادر) وغيرهم من رموز النهضة العربية الإسلامية الخ.

وأمام الواقع العربي الإسلامي الذي طغى فيه التطرف على التسامح وعلى الوسطية الإسلامية، فإن الجابري لا يجد حرجاً في المطالبة بالعمل عن تحجيم مثل هذا الطغيان للتطرف، وذلك من خلال العمل على تفعيل الوسطية والتسامح بواسطة "تبيئة" هذا الأخير حتى لا يظل، كما يقول، وكأنه حكراً على الغرب وحده ودون غيره.

وهذه: "التبيئة" تتم، وكما يؤكد الجابري، من خلال العقلانية، ممثلة في الحرية وفي الديمقراطية، وفي الاجتهاد والمساواة والعدل، بمختلف أشكاله وأبعاده.

من خلال مثل هذه المقاربات للتطرف وللإرهاب، "الإسلامويين" ولدور المتسببين فيهما والمغذيين لهما، وهم الكثير من الحكام العرب والمسلمين، المبررين لاستبدادهم، ولما يحمله من فساد، باسم، تطبيق الشريعة، تارة، وباسم الانتماء إلى أهل البيت، تارة أخرى، نتبين، لا فحسب، النتائج، الكارثية والمزمنة، التي حكمت، ولا تزال، تحكم، منذ أكثر من 11 قرناً من الزمن، وإلى اليوم، مسيرة العالم العربي والإسلامي، وهي النتائج التي تجلت آثارها المدمرة، في تحطيم وكسر غالبية تلك النظم السياسية، حتى لا نقول كلها، التي توالى على هذا العالم، وأهله، لكل آليات دفاع الفرد العربي المسلم عن حريته وكرامته وحقه في العيش الكريم، وفي زرع روح المذلة والخنوع والجبن والهوان والهزيمة فيه، وصولاً به، إلى، ما أسماه المرحوم مالك بن نبي "بالقابلية للخضوع للاستعمار، القديم، والجديد منه".

<sup>4</sup> المرجع السابق.

<sup>1</sup> محمد عابد الجابري: نحن والتراث، دار الطليعة، لبنان، 1980.

بذلك نفهم كيف انقلب عنف الفرد العربي الإسلامي المفترض أن يكون ضد مستعمره وأذناهم من مضطهديه من حكامه السياسيين أولئك، إلى عنف فوضوي، وهامشي، ضد الذات وضد الإخوة، بل وضد الوطن.

وبذلك، أيضا، نفهم كيف تمكنت، بالتالي، أقليات بدائية، وغير بدائية، مثل التتار والصهاينة، من غزو وهزيمة الأمة العربية والإسلامية، ومن احتلال أجزاء من أراضيها، بل العديد من أوطانها، مثلما فعل الاستعمار الأوروبي، وهي التي كانت، ذات يوم، قائدة العالم علميا وثقافيا وحضاريا وعسكريا.

وبذلك، كذلك، نفهم كيف ساد التردّي والفساد السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي والخلقي والإداري، وكيف تصاعد التطرف والتعصب لقضايا ولأشخاص، هم أبعد ما يكونون عن الدين الإسلامي وعن روحه ومقاصده الكبرى، وكيف غيب العقل وحوّرب الفكر الحر والمبدع، لفائدة الجمود والتقليد، ورموزهم من الكثير من الفقهاء الجهلاء المتواطئين مع أولئك الحكام أو المتغافلين عنهم وعن استبدادهم وظلمهم وفسادهم.

وبذلك، أخيرا، وليس آخر، فشلت معظم مشاريع البناء والتنمية والإصلاح والنهوض بهذه الأمة، بسبب المؤامرات الخارجية، كما يزعم أولئك الحكام، الذين طابقوا، وقاحة، بين أنفسهم وبين الوطن، بل بسبب جهلهم وفسادهم ومناوأتهم ومحاربتهم الشرسة للحرية، واحتقارهم للعلم، وللثقافة ولأهلهم، وهم المتنفسين، بالتالي اليوم، لا في بناء مراكز البحث، التربوي والعلمي والثقافي، والطبي والعسكري والصناعي، والاقتصادي، والاجتماعية، والزراعي، والفضائي، بل في تشييد البروج الأكثر علوا، والمنتجات الأكثر أهمية، والملاهي الأكثر خلاعة، والسيارات والطائرات، الشخصية، الأكثر بذخا، والأغلى ثمنا، في العالم، بل ومن مسارعة معظمهم، دون حياء، أو احترام، لأطبائهم وللمؤسسات الطبية والصحية الوطنية، إلى الانتقال، (على حساب أموال الشعب،- الذي لا يجد البعض من أبنائه، غالبا، مكانا في مستشفيات بلاده، إلا بشق الأنفس)، عند أول وعكة تصيبهم، أو تصيب تنابليتهم، إلى المراكز الطبية، الخارجية، مسارعة لا يساويها سوى حرصهم على تعليم أبنائهم وبناتهم في الخارج، واقتنائهم، باختلاسهم لأموال الشعب، وإيداعها، باسمهم أو اسم أقربائهم، في البنوك الخارجية الأجنبية. لشراء سكنات وشركات في الخارج.

ويتم كل هذا في الوقت الذي لا يتورعون فيه عن مد أيديهم، لمستعمر الأمم، لا لطلب المساعدات المالية والغذائية فحسب، بل والعسكرية، التي لا يتردد في منعها عنهم، (خاصة حينما لا تكون وجهتها تقاتلهم الداخلي) أو المزيد، من قمع أو اخضاع شعوبهم، المهددة، بالغزو الإسرائيلي ومن بعض دول الجوار.

## 6. التطرف والمستقبل العربي الإسلامي:

على أن الأخطر بالنسبة لهذه للأمة العربية، والإسلامية، ليس ما مضى، أو ما هو واقع، بل المنتظر وقوعه في المستقبل القريب، والذي بدأت علاماته تتجلى، لا فقط، في الإجهاض الذي تعرض له، سنة 2013، ما كان يؤمل أن يكون فعلا "ربيعا عربيا"، أو في المزيد من خضوع العديد من حكامها، اليوم للغرب، وتبعيتهم الاقتصادية والعلمية والأمنية، شبه المطلقة له، أو في المزيد من تواطؤ، وتعاون البعض من أولئك الحكام، مع الغزو العسكري الغربي والصهيوني الجديد، والمباشر للعديد من البلدان العربية، (العراق وسوريا وليبيا، وفلسطين، وغيرها من المناطق العربية والإسلامية المجاورة لها شرقا وغربا)، بل وفي التآمر، السياسي، والاقتصادي والعسكري، لبعض الدول العربية، خاصة، ضد استقرار وأمن البعض من الدول العربية والإسلامية الأخرى.

من هنا هذا التردّي الديني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والعلمي والخلقي والإنساني، المزمّن، المحزن، وغير المسبوق، للأمة العربية والإسلامية، والذي أغرقها في الفتن الداخلية والتبعية الشاملة وهوى بها حضّيز، أتون الديكتاتورية، والطاغوتية، والتسلط السياسي، والجهل والتخلف والتعصب والتطرف، والإرهاب، والمذلة والهوان والتبعية الشاملة لعدو الأمم، بعد أن كانت، في فترة ما، من التاريخ، خير أمة أخرجت للناس، على ضوء ما تقدم فإن السؤال الملح الذي يطرح نفسه اليوم، وفي هذه المرحلة المصيرية من حياة، بل ومن وجود العرب، خاصة، والمسلمين عامة، ليس ذلك الذي شغلهم طيلة القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين للميلاد، والذي كان تساءل بالأمس: "لماذا تخلف المسلمون وتقدم غيرهم؟"<sup>1</sup> بل إنه هذا الذي يقول اليوم: "هل يمكنهم أن يستفيقوا من سباتهم هذا، وأن يتجاوزوا، (من خلال قبول، أو إجبار شعوبهم، لطغاتهم على إرساء ديموقراطية حقيقية، وتنمية فعلية لكل مناحي الحياة العربية)، هذه المرحلة" أو بالأحرى هذه المحنة؟ سؤال نترك الإجابة عنه للعرب وللمسلمين.

<sup>1</sup> أنظر: شكيب أرسلان: لماذا تخلف المسلمون وتقدم غيرهم؟ الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع، 1988.

Bernard Lewis: "Qu'est-ce qui a échoué en Islam ?", The Atlantic Monthly, Janvier 2002